

الصلة بين التصوف والمنطق في الفكر الغربي المعاصر برتراند راسل أنموذجا
The link between Sufism and logic in contemporary Western
thought, Bertrand Russell as a model

العالم عبد الحميد¹، بوقليع علي²

¹ جامعة 08 ماي 1945 قالة (الجزائر).

laalemabelhamid@gmail.com

² جامعة قسنطينة 2 عبد الحميد مهري (الجزائر).

maboukelia@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2022/07/13 تاريخ القبول: 2022/09/4 تاريخ النشر: 2022/10/08

ملخص:

تتميز التجربة الصوفية بكونها ذاتية تقع خارج مجال العقل، الذي اتهمه الصوفية بالعجز، وأنكروا قدرته على المعرفة وبلوغ الحقيقة، التي يتم الكشف عنها في نظرهم بالقلب، اعتمادا على منهج الكشف والذوق. ومادامت التجربة الصوفية تقع خارج دائرة العقل، فهي تقع خارج مجال المنطق.

كل ذلك يكشف الهوة الفاصلة بين علمي التصوف والمنطق كما يذهب إلى ذلك أغلب الباحثين، إلا أنّ البعض ذهب خلاف ذلك، إلى الإقرار بوجود علاقة جدلية تربط العلمين، وإمكانية استفادة أحدهما من الآخر، بل والجمع بينهما وهو ما ذهب إليه الفيلسوف الإنجليزي **B. Russell** برتراند راسل في بحثه الذي نشره سنة 1914م الموسوم " التصوف والمنطق " (*Mysticism and logic*). وبما أن الجمع بين النزعة الصوفية والنزعة المنطقية من الصعوبة تحقيقها، فإن القول بالجمع بين النزعتين من الصعوبة إلا ما كان من المبدعين النابغين في الحقل الفلسفي أمثال برتراند راسل.

كلمات مفتاحية: المنطق، التصوف، الذوق، العقل، العلم.

Abstract:

the mystical experience is characterized by being outside the realm of the mind, which the Sufis accused of impotence and denied the ability to know and achieve the truth that is revealed in their heart according to the method of detection and taste. As long as the Sufi experience lies outside the circle of reason, it lies outside the realm of logic.

All this reveals the gap between the science of mysticism and logic as most researchers go, but some went exactly the opposite to acknowledge the existence of a dialectical connection between science and the possibility of benefiting from one another, and even the combination of which is what the English philosopher Bertrand Russell in his research which Published in 1914 under the title "Mysticism and logic," Since the combination of Sufism and logical inclination is difficult to achieve, saying that combining the two tendencies is difficult, except for those who were brilliant innovators in the philosophical field, such as Bertrand Russell

Keywords: Logic; mysticism; taste; mind; science.

المؤلف المرسل: العالم عبد الحميد

1. مقدمة:

تعد الحقيقة بمثابة الهدف الأسمى الذي يسعى الإنسان إلى بلوغه منذ القدم. ومن أجل تحقيق هذا الهدف اتبع مناهج متعددة، أهمها المنهج العقلي الذي يتميز بالصرامة المنطقية. غير أن هذا المنهج كان محل اعتراض من طرف المتصوفة، الذين اتهموا إياه بالتقصير والعجز، كون المعرفة التي تقتصر على العقل في نظرهم غير يقينية، لأنها مستمدة من مقدمات. وتبعاً لرفضهم العقل تم رفض المنطق. هذا المنطق الذي يهتم بقواعد العقل بالدرجة الأولى. إن المنهج

الصلة بين التصوف والمنطق في الفكر الغربي المعاصر برتراند راسل أنموذجا

الأنسب في نظرهم يقوم على الذوق، لأن المعرفة في أصلها وجدانية روحية تحصل بالكشف والمجاهدة والرياضة.

كل ذلك يكشف الاختلاف بين علمي التصوف والمنطق كما يذهب إلى ذلك أغلب الباحثين في مجال الدراسات الصوفية والمنطقية. غير أن هناك بعض الباحثين الذين شدوا عن هذه القاعدة، وذهبوا عكس ذلك إلى الإقرار بوجود علاقة بين العلمين، ومن أبرز هؤلاء الفيلسوف الإنجليزي برتراند راسل الذي بالرغم من نزعتة التحليلية إلا أنه تحدث عن علاقة تربط العلمين في كتابه التصوف والمنطق. وهو ما يدفعنا إلى طرح التساؤل التالي: إذا كانت المعرفة الصوفية معرفة حدسية قائمة على الإلهام والإشراق وكانت المعرفة المنطقية معرفة عقلية، فهل يدل ذلك على انفصالهما؟ أم أن هناك إمكانية للجمع بينهما؟ ما هو موقف راسل؟

2. المنطق عند راسل:

1.2. طبيعة المنطق عند راسل: اشتهر راسل بتأسيسه فلسفة منطقية، براهينها قائمة على أساس المنطق، عرفت بالزعة المنطقانية، التي ترجع الرياضيات إلى أصول منطقية، وتحاول رد كل العلاقات إلى علاقات منطقية. (يمنى طريف الخولي، 2000، ص 269). مع إعطاء أولوية و مكانة مهمة للمنطق في الفلسفة. ((Andre laland,1896, p572

بما أن هناك تداخلا بين الرياضيات والمنطق حسب ما رآه برتراند راسل، فقد دفعه إلى محاولة بناء الرياضيات على أسس منطقية، ما أدى إلى اكتشاف الرياضيات البحتة بأكملها من مقدمات منطقية، وتصبح بذلك جزءا من المنطق. (محمد ثابت الفندي، 1969، ص 42).

ويقصد بكلمة منطق إما أن تكون بمعنى المنطق الرمزي وإما أن تكون بمعنى الرياضي، أو أكثر تحديدا المنطق الذري، الذي يعد راسل أحد أبرز رواده

ومؤسسيه. وقد ارتبط ظهور هذا المنطق أساسا برفضه للفلسفة المثالية، والتي أحدث ثورة بشأنها دفعته إلى تبني فلسفة جديدة أطلق عليها فلسفة الذرية المنطقية. وقد صرح راسل بهذا الأمر من خلال المقال الذي كتبه سنة 1924 والذي أكد فيه أن منطق ذري، وأنه يفضل أن يصف فلسفته بأنها ذرية منطقية، أفضل من وصفها بالواقعية.

وشرح راسل هذا المعنى في كتابه التصوف والمنطق قائلا: "فالفلسفة التي أود أن أناصرها يمكن أن نطلق عليها، اسم الذرية المنطقية أو التعددية المطلقة، لأنني في الوقت الذي أخذ فيه بوجود أشياء كثيرة أنكر أن يكون هناك كل واحد مكون من هذه الأشياء". (B Russell mysticism and logic 1918)

على الرغم من المحاولات لربط ظهور الذرية المنطقية عند راسل بتلميذه فتجنشتين الذي أخرج رسالته المنطقية الفلسفية قبل إلقاء برتراند راسل لمحاضراته حول الذرية المنطقية (1818-1919). لكن هناك من لا يصدق بهذه الحجة باعتبار أن راسل لم يلتق بفتجنشتين ولم يسمع عنه إلا بعد عام 1911، في التوقيت الذي كتب فيه راسل مع هوايته الجزء الأول من كتاب مبادئ الرياضيات، وبالتالي قد يكون راسل وسّع وعمّق من فكرته السابقة عن الذرية المنطقية بعد لقائه بتلميذه فتجنشتين. (ماهر عبد القادر، 1985، ص 22).

2.2 . سمات المنطق الرياضي عند راسل:

يختلف المنطق الرياضي عند راسل عن منطق أرسطو في العديد من النقاط، ومن أهم السمات التي يتميز بها :

أ. الصورية: بالرغم من أن الصورية هي خاصية أساسية في المنطق الأرسطي، انطلاقا من أن محور البحث فيه هو الصورة النوعية أو الماهية الثابتة، كذلك فإن الباحث لا يستطيع تقديم أي جديد لأنه يتوجب عليه التسليم بما هو موجود وثابت، ولأنه يكفي بتقرير ما هو واقع، وبذلك أصبح العلم علما صوريا أو شكليا

الصلة بين التصوف والمنطق في الفكر الغربي المعاصر برتراند راسل نموذجاً

يفتقد لكل صفات البحث العلمي والمتمثلة في التوقع بجدة وتغيير الواقع. إلا أن الصورية عند راسل لها معنى مختلف. إن منطق راسل يدور في دائرة الممكن بدلا من دائرة الواقع. (يحيى هويدي، 1967، ص 23). ويقصد بالممكن، الممكن اللفظي الذي يتخذ موضوعه من هذا الوجود المنطقي العام ويبحث في الصورة المنطقية للعبارة اللفظية والعبارات اللفظية الأخرى التي من الممكن أن تولدها، بدلا من البحث فيما تدل عليه هذه العبارة اللفظية في عالم الواقع.

ب. اتصاله بنظرية المعرفة: كانت نظرية المعرفة قديما تهتم بمسالتين رئيسيتين هما: البحث في الذاتي والموضوعي والفرقة بينهما، في الصواب والخطأ. وعلى النقيض من ذلك فإن نظرية المعرفة عند راسل أولت أهمية للاعتبارات اللغوية، ويكون هدفها الرئيسي ترتيب معارفنا أو ما نعتقد أننا نعرفه عن العالم الخارجي إلى معارف أساسية ومعارف مستنتجة أو مستخلصة. (راسل، 2005، المقدمة) تم ترتيب هذه المعارف بداية بالصورة الخارجية التي تطالعنا على العالم، والجزء الأكبر من هذه المعرفة تعود إلى العادة وجزء منها يعود إلى الاتفاق أو إلى المعتقد، أو إلى الذاكرة. إن معارفنا التي نقوم بجمعها حول العالم وما يحتويه من أشياء لا بد من خضوعه لتنظيم وترتيب وفي الوقت نفسه الشك في مقوماتها بهدف القيام بعملية "غريلة" لمعارفنا تمكنا في نهاية المطاف من التمييز بين نوعين من المعرفة: معرفة باللقاء أو الاتصال المباشر والمعرفة بالوصف.

ومن هنا نستنتج أن نظرية المعرفة عند راسل لا تعير اهتماما للمسائل الرئيسية التقليدية كمسألة العلاقة بين الذات والموضوع وتركز على وضع سلم للمعرفة، المعرفة باللقاء أو الاتصال المباشر أولى درجاته تعقبا المعرفة بالوصف التي تحتل بقية الدرجات المتبقية. وتم الوصول على هذا السلم من خلال تحليلنا للغة الشائعة واللغة العلمية، ويشكل هذا التحليل جزءا هاما من مفهوم المنطق عند راسل ينتج عنه التمييز بين نوعين من اللغة، لغة شيئية ولغة منطقية.

الأولى تحتوي على كلمات تفهم معانيها في عزلة عن المعاني الأخرى وهي كلمات حصلنا عليها بالمعرفة باللقاء، على خلاف اللغة المنطقية التي تحتوي على ألفاظ بنائية مثل (و، أو، إذا...).

3. أهم مباحث ونظريات المنطق الرياضي عند راسل:

3.1. نظرية حساب القضايا: يعتبر حساب القضايا أهم المباحث على الإطلاق، كونه الأساس الذي تقوم عليه بقية مباحث المنطق الرمزي. وقد وضع فريجة مبادئ حساب القضايا، ثم ظهر بصورته الحالية عند راسل ووايتهد في كتابهما برنكيبا ماتيماتيكيا. وقد كان راسل يطلق على هذا المبحث في كتابه "مبادئ الرياضيات" اسم "الحساب التحليلي للقضايا، أو حساب القضايا، أو نظرية القضايا". والمقصود بكلمة حساب القضايا "الحساب المنطقي الذي يتناول القضايا بدلا من الأعداد، في صورة رمزية خالصة، وفي صورة متغيرات وثوابت، وترمز المتغيرات هنا إلى قضايا لا إلى حدود. كما ترمز الثوابت إلى العلاقات بين تلك القضايا." (محمود فهبي زيدان، 1979، ص204)

3.2. نظرية الأنماط: إن المفارقات أو التناقضات الرياضية التي صادفت راسل أثناء اشتغاله المبكر بفلسفة الرياضيات (محمد مهران، 1976، ص 271) دفعتة إلى ابتكار نظرية الأنماط قصد التغلب على تلك المفارقات، حيث حاول معالجة هذه التناقضات أولا في كتابة أصول الرياضيات، ثم في كتابة مبادئ الرياضيات، وأخيرا في فلسفة الذرية المنطقية. وكمثال على هذه التناقضات التناقض القديم لبمنديز الاقريطي Lescrétois.

الذي يحكى عنه أنه قال «كل الكريتيون كذابون» مما جعل الناس يتساءلون عما إذا كان كاذبا في قوله أم صادقا، وهذا التناقض في أبسط صورته هو إذا قال شخص من الأشخاص "أني أكذب" فهل هو يكذب أو لا يكذب

الصلة بين التصوف والمنطق في الفكر الغربي المعاصر برتراند راسل أنموذجا

لو كان يكذب لكان تكلم الصدق ولا يكذب، ولكن لو كان لا يكذب لكان صادقا في قوله أنه يكذب ولكان كاذبا. (محمد مهران، 1976، ص 275)

ولو تعمنا في هذا التناقض لوجدنا أننا نستخدم اللغة استخداما خاطئا ومصدر الخطأ أن العبارة السابقة تشير إلى نفسها غير أنه ينبغي التمييز بين مستويين مختلفين من القضايا أو اللغة.

- قضايا تشير إلى وقائع مثال ذلك لو « قلت عن فلان من أهل أقریطش أنه كاذب، وعن فلان الثاني أنه كاذب، وعن فلان الثالث أنه كاذب، وهلم جرا فهذه كلها قضايا تشير إلى وقائع...» (زكي نجيب محمود، 1967، ص 13).

- قضايا تشير إلى قضايا أمثال ذلك «إذا لخصت هذه القضايا (السابقة) وعممتها في قضية تقول: «أهل أقریطش كلهم كذابون» فهذه قضية تشير إلى قضايا ولذلك فهي من مستوى أعلى ويكون لها حكم غير الحكم الذي يكون للقضايا التي هي من المستوى الأدنى» (زكي نجيب محمود، 1967، ص 14)

ومن هنا ينبغي التمييز بين نمطين مختلفين من أنماط العبارة.

1- النمط الذي ينصب على الواقع

2- النمط الذي ينصب على اللغة.

إن نظرية الأنماط تقوم على ضرورة التمييز بين الفئات (classes) التي هي بنيات منطقية وأشياء (things) التي هي عبارة عن وقائع تجريبية ومن الخطأ النظر إلى مجموعة التي تشمل على أفراد معينين على أنها فرد من هؤلاء الأفراد، فمجموعة المقاعد ليست مقعدا وصنف أو فئة ملاعق الشاي، لن يكون ملعقة شاي... وهكذا الخ (يحيى هويدي، 1967، ص 30).

3.3. نظرية حساب الفئات: تعود جذور نظرية حساب الفئات من الناحية التاريخية إلى أرسطو، نظرا لارتباط هذه النظرية بمبحث التصورات وبالمفهوم وبما صدق من جهة، ونظرية الأحكام من جهة ثانية، وما يرتبط بهذه الأبحاث

جميعا من نواحي تطبيقه ،سواء في الاستدلالات المباشرة أو الاستدلالات غير المباشرة (ماهر عبد القادر محمد علي، 1985، ص ص 161-162). وقد أولى راسل اهتماما لهذه المسألة خاصة في كتابه "مبادئ الرياضيات".

ويعرف راسل الصنف تعريف ماصدقيا بقوله: "الصنف هو كل الأشياء التي تجعل قضية ما صادقة، ومن ثم تحدد كل دالة قضية صنفا بالرغم من إذا كانت دالة القضية كاذبة دائما، يصبح الصنف فارغا نعني ألا يكون له أعضاء" (محمود زيدان 1979 ص ص 256-257) أي أن دالة القضية هي التي تحدد الصنف بحيث تصدق إذا عوض متغيرها س بأحد أعضاء الصنف. و تكذب إذا عوض بقيمة خارجة عن هذا الصنف. فلو أخذنا القضية " س إنسان" كانت جميع الكائنات التي يمكن أن توضح مكان س تتحول هذه الدالة إلى قضية صادقة هي المقصودة بالفئة. (محمد مهران رشوان، 2007، ص 244).

ومن هنا يمكن تعريف الفئة بأنها جميع الحدود التي تحقق دالة القضية أي كانت. (راسل، 1958، ص 54).

4.3. نظرية العلاقات:

تعد نظرية العلاقات إحدى أهم فروع المنطق الرياضي ،وأكثرها حداثة. (محمود فهبي زيدان، 1979، ص 259). وقد عرفت هذه النظرية تطورا هاما منذ القرن التاسع عشر على يد كثير من الرياضيين والمناطقة أهمهم دي مورغان Demorgan، بيرس Peirse، شرويدر Cchroder، فريجة Frege، بيانو Piano. ليتم التوسع في شرحها من طرف وايتهد وراسل في كتابهما " أصول الرياضيات " (محمد مهران، 2007، ص 216).

وقد عرف بيرس و شرويدر العلاقة على أساس الماصدق بأنها : " صنف لأزواج " أو "جمع أزواج من الأفراد". (محمود فهبي زيدان، 1979، ص 261)

الصلة بين التصوف والمنطق في الفكر الغربي المعاصر برتراند راسل أنموذجا

غير أن راسل اعترض على هذا التعريف الماصدقي انطلاقا من أن العلاقات تصبح نوعا من الأصناف، كما أن هذا التعريف للعلاقات يعد ماصدقيا خالصا، لذلك فهو غير كاف. ومن هنا ينبغي أن تعرف حسب راسل العلاقة بالماصدق والمفهوم معا (محمد مهرا، 2007، ص 317)

"ينبغي تناول العلاقات كالأصناف من ناحية الماصدق... " (راسل، أصول الرياضيات، ص62) ثم يضيف: " لهذا الزوج معنى -نعني إن الزوج (ه و) يختلف عن الزوج (وه) ما لم يكن ه= و. سوف نسميه .. زوجا مرتبا ". (راسل، أصول الرياضيات، ص 62).

4. التصوف عند راسل:

1.4. طبيعة التصوف عند راسل: اعتمد راسل على منهج تحليلي منطقي، يقابله منهجا استخدمه أهل التصوف يقوم على الكشف. ويترب عن هذا الكشف أو الإلهام أو البصيرة اعتقادات لدى المتصوفة يعتبرونها حقيقة لا يخالجهما شك، بل يقدرسونها إلى درجة العبادة. بالرغم من أن هذه الأداة أو المنهج لا يقوم على اختبارات وليس لها ما يدعمها، إذ لا يركز على مبررات منطقية علمية. إن راسل يرفض النظر إلى التصوف نظرة سطحية محاولا تحليل وفهم المعاني الحقيقية لكلام المتصوفة. إن الحقيقة عندهم تعبر عن حالة عاطفية ذاتية لامنتطقية ولا علمية وبإمكان التصوف أن يوفر راحة وسكينة، إذا تحرر من المعتقدات الباطلة. وهو ما يبين أن مفهوم راسل للتصوف يقوم على رفض تصوره كعقيدة والذي غالبا ما يوقعنا في أخطاء وينظر إليه كعاطفة يعمل على توفير السكينة والطمأنينة للفرد.

2.4. أهم الصفات التي تميز فلسفة التصوف عند راسل: طبق راسل في دراسته للتصوف منهج التحليل من خلال تحليله لأحوال التصوف واعتقاداته لدى الفلاسفة هيرقليطس Héraclès وأفلاطون Platon وبارمنيديس

Parménide وغيرهم، وانتهى به المطاف إلى القول بوجود أربع صفات تميز فلسفة التصوف في جميع العصور، وفي أنحاء العالم وتتمثل هذه الصفات في:

- الايمان بالكشف (détecton) منهجا في المعرفة مقابلا للمعرفة التحليلية الاستدلالية إذ يؤمن الصوفية بوجود طريق للحكمة يأتي بشكل فجائي لا عن طريق الدراسة المتأنية للظواهر الخارجة بواسطة العلم الذي يعتمد على الحواس (B. russell, 1918, p 8)

وعادة ما تكون الاعتقادات التي يصل إليها الصوفية نتيجة التأمل فيما حصلوا عليه في لحظة الكشف، وأعظم النتائج المباشرة للحظة الإشراق الصوفي هي الاعتقاد في وجود ذلك الطريق للمعرفة، والذي يمكن أن نصلح عليه بالإلهام، أو البصيرة (اليقين)، أو الكشف (الحدس)، مقابل الحس والعقل والتحليل. وينظر الصوفية إلى هذه المناهج لأخيرة على أنها براهين عمياء تقودنا إلى الوهم. (B. russell, 1918, p9)

ب- الاعتقاد في الوحدة ورفض القسمة أو التجزؤ.

يقول هيرقليطس " الخير والشر شيء واحد " ونحن ننزل ولا ننزل إلى النهر الواحد نفعل ولا نفعل" كما أن تأكيد بارمنيدس على أن الحقيقة واحدة، إنما يأتي من اعتقاده في الوحدة والفكرة نفسها نجدها عند أفلاطون بالرغم من عدم ظهورها بشكل أوضح في نظريته في الأفكار (نظرية المثل)، غير أنه يظهر مجددا كعقيدة أولية للخير (B. russell, 1918, p10).

والاعتقاد في الوحدة الصوفية هو نتيجة للحظة الإشراق التي يكشف عن الوجود في كل الأشياء ويصطلح عليها في الدين بوحدة الوجود والتوحد في الفلسفة (B. russell, 1918, p10) لقد ظهر منطقا شاملا بدأ مع بارمنديس وتطور وبلغ أوجه عند هيغل يؤكد أن الكون كله واحد لا يتجزأ وأن ما يبدو على أنه أجزاء قائمة بذواتها مجرد وهم، وقد أنتقل هذا التصوف إلى الغرب عن طريق

الصلة بين التصوف والمنطق في الفكر الغربي المعاصر برتراند راسل نموذجاً

بارمنيدس وهو يستند إلى دليل منطقي يتمثل في استحالة العدم ، وأغلب المذاهب الصوفية التي جاءت بعده هي نتاج هذه الفكرة الرئيسية. وينظر راسل إلى المنطق المستخدم في الدفاع عن التصوف على أنه منطق خاطئ من الناحية المنطقية . وقد يجعل هذا المنطق معظم الفلاسفة الصوفية غير قادرين على منح أي دور للعلم في الحياة اليومية نظراً لاهتمامهم بعالم آخر يفوقه يعتبرونه أكثر منطقية وحقيقية.

ج-إنكار حقيقة الزمان: وهذه الفكرة مرتبطة بالفكرة السابقة القائمة على أفكار القسمة، فإذا كان الكل واحد فإن التمييز بين الماضي والمستقبل مجرد وهم. و تجلت هذه الفكرة قديماً عند بارمنيدس وحديثاً عند سبينوزا وهيغل. B. (russell, 1918, p10)

غير أن راسل أعترض على هؤلاء الصوفية الذين ينكرون حقيقة الزمان وعالم الحس معتبراً حججهم بأنها وهمية وخاطئة، إذ ينبغي النظر حسب راسل إلى الماضي والحاضر على أنهما حقيقة كالحاضر يقول راسل: " إن الميثافيزيقيين كما رأينا أنكروا باستمرار حقيقة الزمن وأنا لا أرغب في فعل ذلك لكن أرغب فقط في أن احتفظ بالنظرة العقلية التي تلهم الأفكار وهي النظرة التي تراعي الفكر الماضي على أنه له نفس الحقيقة إلى الحاضر ونفس الأهمية إلى المستقبل".

د-الاعتقاد في أن الشر مجرد مظهر: وهو وهم ناتج عن القسمة و التعارض للعقل التحليلي ، فمثلاً نجد أن الصوفية لا تؤمن بان القسوة خير و لكن تنكر لأنها حقيقية فهي تنتهي إلى العالم الأدنى لقد اعتقد هيغل وسبينوزا أن ليس الشر وحده هو الذي يعتبر وهماً ولكن الخير أيضاً يحمل هذه الصفة (B. russell, 1918, p11). وما يميز التصوف في كل الأحوال هو غياب الغضب والاعتراض والتعقل وعدم الاعتقاد في الانقسام بين الخير والشر. ولقد ظهر هذا الموقف كنتيجة للتجربة الصوفية التي يشعر من خلالها الفرد بالسلام والطمأنينة التي لا

حدود لها (B. russell, 1918, p11). وقد عبر هيرقليطس عن خير و صواب ولكن الناس هم الذين يرون بعض الأشياء خطأ وبعضها صواب. وبدوره أكد سبينوزا بان بالحقيقة والكمال، الخير والشر شيء واحد. وأن كل الأشياء بالنسبة إلى الله عدل .

3.4. موقف راسل من التصوف:

يتساءل راسل في كتابه الدين ولعلم عن مصداقية شهادة التصوف قائلاً: " يحق لنا أن نتساءل إذا كان ينبغي علينا نحد الآخرين قبول مثل هذه الشهادة . (برتراند راسل، 1997، ص 176). وقبل الإجابة عن هذا التساؤل يحدد راسل طبيعة هذه الشهادة أو الطريقة محاولاً تمييزها عن سائر الطرق الأخرى، حيث وضح أن هذه الشهادة على خلاف الطرق الأخرى لا تخضع للاختبارات العادية مثلما هو الحال بالنسبة إلى طريقة التجريب التي ينتهجها رجل العلم، فعندما يتوصل رجل العلم إلى نتائج وقوانين معينة، فإنه يخبرنا في الوقت نفسه بالطريقة التي تم من خلالها إجراء هذه التجربة، بحيث يمكن لأي شخص كان أن يجربها بنفسه وفي حالة عدم تأكده من النتيجة فإنها تعتبر غير حقيقة (برتراند راسل، 1997، ص 176). أما طريقة التصوف فبالرغم من محاولة البعض التمثيل ومحاكاة شخصية المتصوف بحيث يضع نفسه في الوضع نفسه الذي حدثت فيه رؤية المتصوف إلا أنه لا يتمكن من مشاهدة الرؤية نفسها والسبب في ذلك حسب البعض يعود إلى سوء استخدام الحاسة المناسبة " لأن التلسكوب يصبح عديم الفائدة بالنسبة لرجل يغمض عينيه " (برتراند راسل ، 1997، ص 177) ومن هنا نجد أنفسنا أمام جدل يكاد لا ينتهي يخص مصداقية شهادة التصوف.

وانطلاقاً من نزعة العلمية يشير راسل إلى ضرورة تحييد العلم من أجل اتصاف هذا الجدل بالموضوعية. إن مصداقية العلم الذي يعتمد على الاستدلال تعود إلى قابلية مواضعه للاختبار، وقد يكون المتصوف على ثقة تامة من إدراكه

الصلة بين التصوف والمنطق في الفكر الغربي المعاصر برتراند راسل أنموذجا

للحقيقة وعدم حاجته إلى طريقة الاختبار غير أن الأمر مختلف بالنسبة للآخرين الذين يطلب منهم قبول هذه الشهادة لأنهم سوف يطالبون بإخضاعها لاختبارات مماثلة لبقية الاختبارات العلمية. (برتراند راسل ، 1997 ، ص 177)

إن الدليل الذي يستند إليه موقف المتصوفين يقوم على الاتفاق الجماعي لهؤلاء في شهادتهم مع بعضهم البعض ولا يبدي راسل أي اعتراض على هذا الدليل الذي سبق له وأن اعترف بقيمته في بعض مؤلفاته حيث يقول: "ولست أرغب في التقليل من شأن هذه المحاجة التي اعترفت بها مند فترة طويلة في كتابي التصوف والمنطق" (برتراند راسل ، 1997 ، ص 177) ، وبعد عرضه لأهم الخصائص التي يجمع عليها المتصوفة ، والمتمثلة في :

1- الوحدة وعدم الانقسام

2- الشر لا يعدو أن يكون وهما.

3- الزمن ليس وجود حقيقي

وبعد محاولته للتخلي بروح الموضوعية والنزاهة وتشبه نفسه بالمحلف يتساءل راسل مجددا قائلا: "دعنا نتخيل أنفسنا محلفين في ساحة القضاء كلفتهم المحكمة بإصدار قرار بشأن مصداقية الشهود". (برتراند راسل ، 1997 ، ص 178).

ثم سرعان ما يصدر قرار بشأن هؤلاء الشهود الذين رغم اتفاقهم إلى حد ما حول بعض القضايا، إلا أن تباينهم الكامل يتجلى بمجرد تجاوزهم لنقاط الاتفاق السابقة ولتأكيد هذا الأمر يقدم راسل نماذج من تصوف المسيحيين والمسلمين والبوذيين والصينيين والتي تختلف فيما بينها اختلافا شاسعا يقول:

"إن الكاثوليك وليس البروتستانت تلوح لهم رؤى وتجليات تظهر لهم فيها مريم العذراء، ثم إن المسيحيين والمسلمين وليس البوذيين قد تكون هبطت عليهم حقائق أنزلها عليهم جبريل كبير الملائكة والمتصوفون الصينيون من إتباع التاو

يحدثوننا كنتيجة مباشرة لمذهبهم الرئيسي عن فساد كل الحكومات في حين أن المتصوفين الأوروبيين والمسلمين يحثون بنفس القدر من الثقة على ضرورة الخضوع للسلطة الزمنية. (برتراند راسل، 1997، ص179). هذا الاختلاف السابق انعكس على مواقف هؤلاء اتجاه بعضهم البعض حيث تدعي كل فرقة أنها على صواب، في حين أن بقية الفرق الأخرى على خطأ. وباعتبار راسل ذو نزعة علمية يتساءل عن مدى يقين شهادة المتصوفين وتوقعه تلقى إجابات متنوعة ، فالبعض يعتقد بأننا غير مهئين ذهنيا لاستقبال تجربة الصوفية. لأن هذه الأخيرة تحتاج إلى مجموعة من التدريبات الرياضية الخاصة بالتنفس مثلما هو الحال لدى الهنود والصينيين وهو ما أكده راسل في قوله: "وفي حقيقة الأمر هناك نظام بدني محدد يسبق التصوف لا بد من ممارسته للوصول إلى اليقين الصوفي". (برتراند راسل، 1997، ص180). فمثلا التنفس لمدة معينة وبطريقة معينة يجعلنا نقتنع حسب البعض أن الزمن ليس له وجود حقيقي، ومن هنا ينتقد راسل الاتجاهات التي تنظر إلى التصوف نظرة سطحية وتصوره بطريقة كاريكاتورية لاعتقاده بأن التصوف "ينطوي على جوهر الحكمة" (برتراند راسل، 1997، ص183). وقبل أن يصدر راسل قراره النهائي بشأن قبول أو رفض شهادة التصوف يحاول أن يقف على المعاني الحقيقية لكلام المتصوفة بدلا من أخذها بمعناها الظاهر ، لأنه لو فهمنا كلامهم عندما ينكرون حقيقة الحواس بالمعنى المعتاد فإنه لن نتردد في رفض أقوالهم نظرا لتعارضها "مع سائر الشهادات الأخرى، بل أنه يتعارض مع شهادتهم في لحظات حياتهم الدنيوية" (برتراند راسل، 1997، ص185)

ومن هنا ينبغي في نظر راسل البحث عن المعنى الذي يقصده المتصوفة من كلامهم حين ينكرون حقيقة الحواس، لأن المتصوفة يستخدمون حسب راسل الحقيقة بالمعنى العاطفي لا المنطقي، وكذلك الحال بالنسبة لقولهم إن الزمن غير

الصلة بين التصوف والمنطق في الفكر الغربي المعاصر برتراند راسل أنموذجا

حقيقي فالمقصود بذلك انه بمعنى ما وفي بعض المناسبات. إن التصرف انطلاقا من الفهم السابق يعبر من عاطفة وليس عن حقيقة فهو لا يعمل على تأكيد أي شيء لذلك لا يمكن للعلم أن يتأكد من صحة أو خطأ التصوف.

ورغم إدعاء الصوفية بإمكانية هذا التأكيد، إلا أن راسل لا يشاطرهم الرأي كونهم عجزوا عن الفصل بين الجانب العاطفي والجانب العلمي. (برتراند راسل، 1997، ص 186).

إن اتفاق آراء المتصوفة لا يمكن اتخاذها مبررا لقبول شهاداتهم فيما يخص حقائق الحياة، لأن كل ما يفعله الصوفي هو محاولة إجراء تغييرات في الذات، بدلا من إجراء تغييرات في العالم الخارجي (أي أن التغيير تم بطريقة سحرية، كما يرى سارتر في منهجه الفينومينولوجي)، حيث يطلبون من الشخص القيام بتدريبات معينة بدلا من استخدام حواسه وهنا يصعب اختبار آراء المتصوفة من الناحية العلمية (برتراند راسل، 1997، ص 187)، إن التصوف في حالة تحرره من المعتقدات الباطلة - يمكن أن يحمل معنى ويصبح ذو أهمية بالغة بفضل ما يوفره من رحابة وسكينة، (برتراند راسل، 1997، ص 188) غير أن هذه الأهمية والقيمة التي يحتلها التصوف خاصة من الناحية الدينية باعتباره سببا وراء نشأة الدين إلا أن نزعة راسل العلمية جعلته في نهاية المطاف يصدر حكما بشأن طريقة التصوف قائلا: "إنني لا أستطيع الاعتراف بغير الأسلوب العلمي كطريقة للوصول إلى الحقيقة". (برتراند راسل، 1997، ص 188).

5 . صلة التصوف بالمنطق عند راسل:

خصص راسل كتابا للحديث عن الصلة الوثيقة و الوطيدة التي تربط التصوف بالمنطق تحت عنوان التصوف والمنطق، مستدلا على ذلك بتاريخ الفلسفة القديم منها والحديث، والذي يكشف لنا المزاجية بين العلمين لدى أعظم الفلاسفة.

ويأتي في مقدمة هؤلاء الفلاسفة العظام الذين استطاعوا الجمع بين العلم (المنطق) والتصوف الفيلسوفين اليونانيين هيرقليطس وأفلاطون، هيرقليطس الذي على الرغم من انه أيوني، إلا أنه لم يتصف بالنظرة العلمية التي تميزها أهل ملطية، بل كان صوفيا من نوع فريد. (برتراند راسل، 2010، ص87) وتنهض فلسفة هيرقليطس على قاعدة التغير الدائم (جعفرال ياسين 1971 ص 19) فقد كان يؤمن بالتغير المتصل في العالم كله فكل شيء في تحول دائم فهو صاحب القول المأثور "إنك لا تنزل في النهر الواحد مرتين لأن مياهها جديدة تجري من حولك باستمرار". (هيرقليطس، 1980، ص93) وقوله "إن الأشياء الباردة تستحيل حارة والأشياء الحارة تستحيل باردة والمبتل يجف والجاف يصاب بالرطوبة". (هيرقليطس، 1980، ص98) وبسبب تداخل الأضداد يتم التحول. وهو صاحب مقولة: "إن الأشياء التي يمكنني رؤيتها وسماعها ومعرفتها، هي التي أولمها أعظم قيمة"، (B. russell, 1918, p2) والتي تكشف على اعتماد هيرقليطس على لغة العالم التجريبي وهي الملاحظة التي تعد الضمان الوحيد للصدق والحقيقة، وهو صاحب المقولة: "الشمس تتجدد كل يوم". (برتراند راسل، 2010، ص92). التي تفسر كيف تسير الشمس من الغرب إلى المشرق أثناء الليل. كما أن عقيدته القائلة بأن النار هي الجوهر الوحيد الباقي والمادة الدائمة جاءت على أساس أننا في عملية الاحتراق نرى الأشياء تتغير تماما، في حين أن لهيبتها وحرارتها يصعدان إلى أعلى في الهواء ويختفيان. ومن هنا كان اضطرام النار أحب إليه لأن النار أسرع حركة وأدل على التغير. (جعفرال ياسين، 1971، ص19). غير أن لهيرقليطس عبارة أخرى يقول فيها نحن ننزل ولا ننزل في النهر الواحد (من حيث أن مياهه تتغير باستمرار نحن نوجد ولا نوجد (من حيث أن الفناء يدب فينا في كل لحظة وهذه العبارة الأخيرة تندرج حسب راسل ضمن التصوف.

الصلة بين التصوف والمنطق في الفكر الغربي المعاصر برتراند راسل أنموذجا

ومن خلال مقارنتنا بين هاتين العبارتين السابقتين لهيرقليطس يتضح لنا إمكانية الجمع بين النزعتين الصوفية والعلمية لدى هيرقليطس وكيف أن الميلين قد تم دمجهما دمجا وثيقا في مذهب هيرقليطس (B.russell, 1918, p3) إن الشعور الصوفي هو الذي دفع هيرقليطس إلى الإدلاء بأقوال أخرى غريبة حول الحياة والعالم مثل قوله: "الزمان طفل يلعب الداما (الشطرنج) " إن السلطة المطلقة في يد طفل" (B. russell, 1918, p3) وهذا التصور مرتبط بالشعر وليس بالعلم، إذ يصور الزمان على أنه طاغية، يحكم العالم كالطفل الطائش غير المسؤول. وقد تكون الصوفية في نظر راسل وراء تأكيده على طبيعة الأضداد مثل قوله: "الطيب والخبيث شيء واحد، فبالنسبة لله كل الأمور عادلة وطيبة وصواب، ولكن البشر ينظرون إلى بعض الأمور على أنها خطأ والبعض على أنه صواب" (B.russell, 1918, p3) وقوله "الطريق الصاعد والطريق الهابط هما طريق واحد بعينه" (راسل، 2010، ص 91). وهو ما يبين الوحدة والانسجام الذي ينتهي إليه هذا الصراع، وأن وحدة الأضداد هي الأصل وهي مصدر هذا التغيير. ومن هنا كان التعارض طريق لإحراز تماسكا وتناغما أكثر، وهو ما عير عنه بقوله "إن ذلك الذي في تعارض لهو الشيء المتماسك ومن الأشياء التي تختلف يظهر أجمل تناغم" (هيرقليطس، 1980، ص 113). إن هدف هذا الصراع هو بلوغ الكمال والتناغم والحب لأن هذا الأخير لا ينشأ إلا من الصراع. "إنهم لا يفهمون كيف أن ما يختلف مع نفسه هو في اتفاق. فالتناغم قائم في التوتر بين الأضداد مثل التناغم بين القوس والقيثارة" (هيرقليطس، 1980، ص 113).

إن جميع الأمثلة السابقة تعكس الامتزاج بين التصوف والعلم لدى هيرقليطس في نظر راسل.

وقد نجد نفس الدافعين أي التصوف والعلم لدى فيلسوف يوناني آخر وهو أفلاطون الذي من فيثاغورس العناصر الأورفية في فلسفته واحترامه للرياضة

وخلطه بين العقل والنظر الصوفي إلى حد يتعدتفرقة أحدهما عن الآخر (راسل، 2010، ص 184). وهو ما أنتج مذهبا يرضي العقل والعاطفة الدينية على حد السواء (راسل، 2010، ص 208). رغم غلبة الدافع الصوفي عنده كما يقول راسل، وتحقيقه للانتصار في نهاية المطاف كلما كان هناك صراع بين الدافعين، حيث يجعل النصر للزعة الصوفية على العقل ويعتبر وصف أفلاطون للكهف دليلا عن إيمانه بوجود معرفة حقيقية ويقينية تتجاوز الحواس، حيث يحدثنا أفلاطون في كتابه الجمهورية عن أناس يعيشون في كهف مقيدين بسلاسل منذ طفولتهم، وأديرت وجوههم إلى داخل الكهف، فلا يستطيعون النظر أمامهم، فيرون أشباح تمر ورائهم، ولما كانوا لم يروا في حياتهم إلا الأشباح فإنهم يظنونها حقائق، فإذا استطاع أحدهم أن ينطلق من الكهف، فإنه ينهر، ويظل عند ظنه بأن العلم الحق هو معرفة الأشباح، ولكنه سرعان ما يخرج عن تلك الحالة، فينظر إلى الأشياء في ضوء الليل الباهت أو إلى صورها في الماء، حتى تعتاد عيناه ضوء النهار شيئا فشيئا.

ويستطيع أن ينظر إلى الأشياء نفسها، ثم إلى الشمس التي هي مصدر كل نور ويشير الكهف في هذا المثال إلى عالمنا المحسوس، وإدراك الأشباح هو المعرفة الحسية، والأشياء الحقيقية هي المثل. والشمس مثال الخير أرفع المثل ومصدر الوجود والكمال.

إننا نجد في تشبيه الكهف عند أفلاطون والكثير من تعاليمه تطابق بين ما هو خير وما هو حق، وهذا الأمر لا يقتصر على أفلاطون فحسب، بل نجده في تراثنا الفلسفي، بل حتى في أيامنا هذه (أي الفترة التي عاش فيها راسل).

ينبغي للبصيرة الصوفية التي تريد بلوغ الحقيقة والخير الأسمى أن تتخذ مع هذا الطبع اللامتحيز، فتحقق الفلسفة بذلك أعظم إمكانياتها، أما النشر في هذا

الصلة بين التصوف والمنطق في الفكر الغربي المعاصر برتراند راسل أنموذجا

المسعى فتنتج عنه فلسفات مثالية هزيلة لا حياة فيها، إن التزاوج مع عالم الواقع يجعل مثلنا ذات ثمرة، في حين أن انفصالها عنه يجعلها عقيمة.

إن الجمع بين التصوف والمنطق تجلى بوضوح، في نظر راسل عند الفيلسوف اليوناني بارمنيدس الذي كان مصدرا لنوع من التصوف يمكن أن تطلق عليه "التصوف المنطقي"، الذي بدأ مع بارمنيدس وصولا إلى هيغل وتلامذته من المحدثين، وقد تأثر بارمنيدس بدوره بفيثاغورس كما يؤكد راسل انطلاقا من الصلة الوثيقة التي كانت تربط أنداك بين الرياضيات والتصوف. (راسل، 2010، ص 99). وقد وضع بارمنيدس مذهبه في قصيدة عنوانها الطبيعة وكان بذلك أول من نظم الشعر في الفلسفة (يوسف كرم، 1936، ص 37) كان يرى أن الحواس خادعة معتبرا كثرة الأشياء المدركة بالحواس مجرد أوهام لا أكثر وان الكائن الحقيقي الوحيد هو الواحد الذي يتميز بكونه لا نهائي ولا يقبل الانقسام. (راسل، 2010، ص 100).

كما يؤكد بارمنيدس استحالة إدراك اللاوجود و التعبير عنه بالقول لأن ما هو موضوع للتفكير، وما هو وجود، شيء واحد. فالحقيقة الأولى هي أن الوجود موجود، ولا يمكن ألا يكون موجودا و"أن الفكر قائم على الوجود، ولولا الوجود لما وجد الفكر" والوجود عنده قديم لامتناع حدوثه عن اللاوجود وليس للوجود عنده ماضي ولا مستقبل.

6. خاتمة:

إن تأسيس برتراند راسل للنزعة المنطقانية، واعتماده على فلسفة علمية واقعية تحليلية، واتباعه لمنهج معرفي صارم يقوم على التحليل المنطقي، دفعه إلى الإقرار بأنه أفضل المناهج وأنه الكفيل-حسب رأيه- بالكشف عن الحقيقة. إلا أن دراسته المستفيضة لتاريخ الفلسفة والحضارات القديمة والحديثة وتفتحها واطلاعه على مناهج العلوم المختلفة المغايرة لمنهجه التحليلي المنطقي لا سيما منهج الكشف لدى المتصوفة جعله يقر بوجود علاقة تربط بين علي التصوف والمنطق، واكبر دليل على ذلك اجتماع هذين الجانبين الصوفي والمنطقي لدى أعظم رجال الفكر والفلسفة، إضافة إلى إمكانية استفادة أحدهما من الآخر نظراً لما يتوفر عليه التصوف من جانب من الحكمة من الناحية العملية. ومع ذلك تبقى فكرة التصوف عند راسل غامضة فهو يؤمن بوجودها استناداً إلى هيراقليطس وأفلاطون وليس كظاهرة علمية منطقية يمكن التحقق من وجودها.

7. قائمة المصادر والمراجع:

1.7. المصادر:

- باللغة العربية

1- برتراند راسل، أصول الرياضيات ، ج 1 (ترجمة محمد مرسي أحمد وأحمد فؤاد الأهواني)، مصر ط2. دار المعارف.

2 - برتراند راسل (1997). العلم والدين. (ترجمة رمسيس عوض). مصر: دار الهلال.

3- برتراند راسل (2010). تاريخ الفلسفة الغربية ، ج 1 ، الفلسفة القديمة. (ترجمة زكي نجيب محمود) القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

4- برتراند راسل (2005). ما وراء المعنى والحقيقة. (ترجمة محمد قدري عمارة) القاهرة، ط1. المجلس الأعلى للثقافة .

- باللغة الأجنبية

B. russell.(1918) *Mysticism and logic and other essays*. london. george allen and unwin.

2.7. قائمة المراجع:

1- جعفر، ال ياسين . (1971) . فلاسفة يونانيون العصر الأول. بغداد، ط1. مطبعة الارشاد .

2- هيرقليطس. (1980) . *جدل الحب والحرب*. (ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد) القاهرة . دار الثقافة للطباعة والنشر.

3- ماهر عبد القادر محمد علي. (1985). *فلسفة العلوم المنطق الرياضي* بيروت: دار النهضة العربية .

4- ماهر عبد القادر محمد علي. (1985). *فلسفة التحليل المعاصر* . بيروت: دار النهضة العربية .

- 5-محمد ثابت الفندي. (1969). فلسفة الرياضيات. دار النهضة العربية.
- 6-محمد مهران رشوان. (1987).مقدمة في المنطق الرمزي. القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع .
- 7-محمد مهران. (1976) .فلسفة راسل .مصر: دارالمعارف .
- 8-محمود فهمي زيدان. (1979). المنطق الرمزي نشأته وتطوره . بيروت: دار النهضة العربية .
- 9-يمنى طريف الخولي.(2000). فلسفة العلم في القرن العشرين. الكويت: العدد 264. عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- 10-يوسف كرم. (1936) . تاريخ الفلسفة اليونانية. القاهرة .لجنة التأليف والترجمة والنشر.

- الموسوعات والمعاجم

1-Andre laland .(1896). vocabulaire technique et cretique de philosophi .paris.

- المجلات

- 1- زكي نجيب محمود. (1967) . من برتي الى برتراند راسل. مجلة الفكر المعاصر. العدد 34 .
- 2-يحيى هويدي.(1967). راسل الفيلسوف الرياضي في منطقه الجديد. مجلة الفكر المعاصر. العدد 34